نور من السماء

(ألقيت هذه الكلمة يوم الاحتفال
بالمولد النبوى فى المدرسة المباركية)

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملأ الملائك حوله للدين والدنيا به بشراء
والعرش يزهو والحظيرة تزدهى والمنتهى والسدرة العصماء

أيها السادة : —

فى فوضى العصبية الجاهلية وفى صميم صراع القبائل العربية وبين جموع متفرقة جعلت من الأصنام الجامدة آلهة تعبد ومن النافه الحقير شرارة حرب ضروس وفى لجة من ظلمة الجهل وقساوة التقاليد أشرقت طلعة محمد صلى الله عليه وسلم فى سماء الجزيرة العربية فأحالت الظلمة الحالكة إلى نور ساطع والخوف والفزع إلى ثقة واطمئنان فصفقت القلوب وسرت البهجة فى النفوس تستقبل الوليد الطفل الذى ارتسمت على قسماته الوضاءة مخايل العبقرية والذكاء ، إنها تستقبل من أرسله الله نبياً عربياً ينشر دينه الحنيف ويبث تعاليمه السامية إنها تستقبل من سيغير وجه التاريخ ويقود الإنسانية إلى ظلال الخير والسعادة .

إن قصة حياة محمد صلوات الله عليه قصة عبقرى فذ سخر الحياة لإرادته ونبوغه فقد تدرج فى طفولته يتيما محروما من حنان الأبوين وواجه الحياة فى شبابه يجاهد الحياة وقساوة العيش والناس فى حيرة وذهول من طهارة نفسه وسمو خلقه وعلو همته واستمر فى حياته المليئة بالتضحيات وجلائل الأعمال وهو ذلك المثالى العظيم الذى أذاب قلبه وعقله فى صالح أمته وتقدمها فلم يعبأ بمرارة النضال فى سبيل الدين ولم يتخاذل أمام عدوان المعتدين ولم يضعف أمام كيد الكائدين بل قابل الشدائد بصدر رحب وشجاعة نادرة وإيمان مكين ونتيجة لهذا الجهاد الطويل وبتأييد من عند الله تم له ما أراد وبلغ غايته الكريمة فنشر ألوية الدين الحنيف وجمع شمل العرب المشتت وأقام العدل والمساواة بين الناس ودعم أركان المجد العربى على أساس متين من الوحدة والتعاون والأخاء . ما أعظمك يارسول الله ، إن حديث بطولتك وروائع أعمالك سيبقى حديث الأجيال للأجيال وأمثلة الهدى إلى سبيل الخلود : إن مواقفك الرائعة أمام خصومك فى العقيدة و لمبدأ لأبلغ دليل على حكمتك ودهائك : إن مغالبتك للشدائد وتحملك المصاعب لأروع مثل على التضحية والإخلاص والوفاء !

سيدى رسول الله : لقد كنت نوراً يهدى الناس إلى الحق والصراط المستقيم .

لقد كنت فيضاً من الحنان والعطف على الفقراء والمعوزين لقد كنت باسما لجراح اليتامى والمنكوبين .

لقد كنت رحمة للناس أجمعين ، يلوذ بك الطريد فتحسن وفادته ، ويهفو إليك المحتاج فتقضى حاجته ويقصدك المظلوم فترفع عنه ظلمه .

سيدى و رسل الله : إن ذكرى مولدك ذكرى الهداية والنور ، وذكرى الماضى التليد السعيد .

ذكرى المجد الذى هوى ! ذكرى العظمة المنهارة والسؤدد الرفيع ! ذكرى الحضارة العربية فى الشام والعراق والأندلس ، ذكرى النفوس الأبية والأيدى الطاهرة التى رفعت راية العروبة خفاقة فوق المدائن والأمصار .

أيها السادة: هذه ذكرى ولادة الرسول الأعظم وتلك ذكريات الماضى المجيد فاقتبسوا من هذه الذكرى الطيبة العبرة والموعظة لعلكم تفلحون فمن العيب والعار أن نتشدق بالماضى ونحن ضعفاء الحاضر واعلموا أن الفوز والنجاح حليف العاملين المخلصين فلا يكفى التغنى بتراث الأقدمين وفضائل السالفين ونحن فريسة المطامع وهدف الأقوياء

أيها السادة : —

إنكم تنتسبون لأمة عريقة فى أمجادها عظيمة فى تاريخها قوية فى كيانها فكيف ترضون لأنفسكم حياة التفرق والشتات ؟ وتتصفون بصفات الضعف والهزال ؟ تذكروا يوم كنتم قابضين على زمام العالم !

تذكروا الفتوحات الإسلامية التى شملت الشرق والغرب إن الزمن يدور أيها السادة والأمم تتسابق مسرعة فى ميدان الحياة فلموا صفوفكم ووحدوا كلمتكم وطهروا ضمائركم من أدران الحسد والكراهية والبغضاء واعملوا مخلصين متكاتفين فى سبيل الغاية الشريفة والهدف النبيل واجعلوا الصدق والتعاون شعاركم فى الحياة ، والتضحية والإخلاص دعامة أعمالكم فى سبيل الصالح العام فى الخلق القويم تبلغون الهدف المرجو والأمل المنشود .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

الكويت

عبد العزيز الفريلى
سكرتير المعارف